واقع التعليم عن بُعد في الجزائر(العراقيل والتّحديات)

ملخّص تجربة ميدانية

The Reality of Distance Education in Algeria (Obstacles and Challenges).

Summary of Field Experiment

د.محمد أنيس الطيّب[1]، ط.د.أمينة فريك[2]

[1]المركز الجامعي عبد الله مرسلي(الجزائر)، anous2500@gmail.com

[2]المركز الجامعي عبد الله مرسلي(الجزائر)، aminafrik96@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/9/12 تاريخ القبول: 2024/3/8 تاريخ النشر: 2024/3/31

ملخص:

أنماط التّعليم عديدة ومتنوّعة، قديمة وحديثة أنشأتها حاجة الإنسان في تعليم المعرفة بحثا عن أساليب تختصر الجهد والوقت معا وتتأقلم مع طوارئ الحياة وتراعي تحقيق الأهداف التّعليميّة، وإذا نظرنا إلى أنماط التّعليم بحس قدمها وحداثتها نصادف ما يُعرف حاليا بنمط التعلّم عن بعد.

تهدف محاولتنا العلمية إلى تسليط الضّوء على نمط التعليم عن بعد بوصفه أسلوبا من أساليب التعليم في القرن الواحد والعشرين أين أصبحت التكنولوجيا الدّعامة الأساسية التي تقوم عليها العملية التعلّميّة، حيث حاولنا أن نشارك القارئ تجربة رائدة لإحدى المدارس في كيفيّة سير مجريات تطبيق هذا النّمط من التّعليم بتحدّياته وعراقيله، وقد تحصّلنا على جملة من النّتائج أهمها: لن يرى التّعليم عن بُعد النّور في الجزائر بوجود طاقم تربوي لا يواكب العصر ولا يتقن استخدام الوسائط التكنولوجية الحديثة، إذ يعد ذلك من أهم التّحديات التي يجب على القائمين الانتباه إليها.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بعد ؛ العراقيل ؛ التّحديات ؛ تجربة ميدانية.

Abstract: The pateerns of education are numerous and diverse, both ancient and modern. They have been created by the human need to teach knowledge. Methods have been searched in order to save time and effort, adapt to life emergencies and take into account the achievement of educational goals. Our scientific attempt aims to shed light on the pattern of distance education as a method of teaching in the twenty-first century, where technology has become the mainstay on which the learning process is based. We tried to share with the reader a pioneering experiment of one of the schools in how the course of implementing this type of education is proceeding with its challenges and obstacles. We have obtained a number of results, the most important of which are: distance education will not see the linghe in Algeria whith an educational staff that does not keep pace whith the time and doses not master the use oh modern technological media.

Keywords : distance education; obstacles; challenges; Field Experiment.

1.مقدمة:

إنّ الجهود التي بُذلت في مجال التعليم خلال عشرات السنين الماضية انتهت إلى قناعات مفادها؛ هو ضرورة فهم حقيقة العمليّة التعليميّة التّعلّميّة ومتطلّباتها المنهجيّة والإجرائيّة والتّقنيّة، مع إضفاء الطّابع العلمي الدّقيق والصّارم في التّعامل مع الظّواهر التّعليميّة. وفي ظلّ هذه القناعات لم يعد التعلّم أمرا تحكمه العشوائيّة أو المصادفة العارضة؛ بل أصبح الموقف التّعليمي التّعلّمي خاضعا لجملة من الخطوات والإجراءات المخطّط لها سلفا، أسفرت عنها نتائج البحث المتراكم في النّظريّات المختلفة طلية السّنوات الماضيّة، والتي تُحدّد كيفيّة تفاعل عناصر العمليّة التّعلميّة بحيثياتها المختلفة وأقطابها وعناصرها: المعلّم، المتعلّم، والمادة المعرفيّة والطّريقة، وذلك من منطلق أنّ تطوير التعليم يكمن في تطوير طرائقه مع إعادة الاعتبار لدور المتعلّم الذي أصبح يشكّل المحور الأساس للعمليّة التعلميّة في منظور طرائق التّعلّم الحديثة. خاصّة تلك التي تعتمد على نمط التعليم عن بعد. ونظرا لتداخل أدوار هذه الأقطاب فيما بينها، وتنوّع الأثر الذي يتركه كلّ قطب من هذه الأقطاب في العمليّة التعلّميّة، كان حتميّا أن يبرز إلى الوجود علم مستقلّ يهتمّ بكيفيّة وطرائق التعليم والتعلّم يُعرف بمصطلح: التّعليميّة يقابل المصطلح الأجنبي (**DIDACTIQUE**). فهو حقل اتّخذته اللّسانيات منفذا مطلّا إلى العلوم التي لها صلة وطيدة بالتّعليميّة على رأسها العلوم المرتبطة بالتّقنية والتكنولوجيا الحديثة، وهي تستفيد (التّعليميّة) في الوقت ذاته بتأسيس حقل دراستها من خلال النّظرة اللّسانيّة العلميّة باعتبارها تدرس اللّغة وتصفها من جهة، وتهتمّ بكيفية تعليم اللّغة والتّحكم فيها من جهة أخرى، كما تنظر في الوسائل والأهداف والإجراءات التقنيّة اللّازمة والمحدّدة لكيفيّة تعلّم اللّغة وتيسير تعليمها.

وإنّ ما يهمّنا في هذا السّياق موضوع التّعليميّة ودائرة اختصاصها، حيث يُعنى هذا العلم بكلّ ما له صلة بإعادة النّظر في التعليم مع ما يواكب العصر الحديث من قضايا نفسيّة واجتماعيّة وتربويّة وتكنولوجيّة، بما في ذلك الاتجاهات والطّرائق المختلفة والوسائل المعينة في إعداد المناهج والمواد التعليميّة والإشراف عليها" (شاهين، 1985م، صفحة 32)، كما يعمل هذا الفرع اللساني على مساعدة المتعلم

حتى يكتسب الكفايات والمهارات فينظر في المحتويات وينتقيها ويصنّفها وفق الأهداف المرجوة، سعيه في ذلك كلّه إنجاح العمليّة التعلميّة.

وبهذا الإطار العام الذي يمثّل حدود اهتمام التعليميّة، تتضّح معالم هذا الفرع العلمي من حيث كونه يستهدف كلّ ما له علاقة مباشرة بتحسين العمليّة التعلميّة في صورة فرع لساني قائم بذاته له مصطلحاته ومرجعيته المعرفيّة ومن حيث كونه مجالا تطبيقيّا للحصيلة اللسانية، وهو ما جعل أحد الدارسين يتساءل بقوله:" لماذا لا نتحدّث نحن أيضا عن تعليميّة اللغات بدلا من اللّسانيات التّطبيقيّة **LINGUISTIQUE APPLIQUEE** فهذا العمل سيزيل كثيرا من الغموض واللّبس ويُعطي للتعليميّة المكانة التي تستحقّها" (حساني، 2014م، صفحة 31)، وإنّ هذا التّساؤل يعطي للتعليمية المبررات للاستقلاليّة عن اللسانيات التّطبيقيّة من حيث كون التّطبيقات اللّسانيّة متعدّدة وبالتّالي لابد من وضع علم مستقل يهتم بالتعليم بصفة عامّة، وعلى وجه الخصوص يقوم على تحسين جودة العمليّة التعلّمية، وذلك لن يكون بمنأى عن إدماج تكنولوجيا الاتصّال والمعلومات في التّعليم نظرا لكون شركاء العمليّة التعلمية وأقطابها في حاجة إلى إعادة صياغة لأدوارها في ظلّ هذه التّكنولوجيا التي تواكب العصر ومستجدّاته.

من هنا برزت الحاجة إلى تبنّي نمط جديد في التعليم يتحدّى الزمان والمكان، يُعرف بمصطلح التعليم عن بعد، وهو ما يجعلنا نطرح الأسئلة الأتيّة:

- ما مفهوم التعليم عن بعد؟
- هل تبني التعليم عن بعد يقصي بالضّرورة التعليم الحضوري؟ ما تجاربه الواقعيّة في الجزائر؟
- ما تحدّيات هذا التبني؟ وما عراقيله؟

تكمن أهميّة هذه المحاولة العلميّة في كونها تحاول أن تسلّط الضّوء على الوسائل والعوامل التي من شأنها أن تبعث روح التجديد والفاعلية في العملية التعلمية، وجعلها أكثر نفعا من خلال مواكبتها ومسايرتها للتطّورات العصريّة في مختلف مجالات الحياة سيما مجال الرقمنة والتكنولوجيا والوسائط وتفعيلها في خدمة التّعليم، وذلك من خلال تقديم نماذج حيّة واقعيّة.

وعليه نهدف إلى إبراز أهميّة التّعليم عن بعد في العصر الحديث في ظلّ التحدّيات والعراقيل التي تحول دون جني ثماره أحيانا، وتبطّئ من وتيرة تنفيذه على أرض الواقع في كثير من الأحيان، وذلك من خلال عرض تجربة ميدانيّة لإحدى المؤسّسات التعليميّة الخاصّة، لنلقي نظرة تقييميّة حول كيفيّة استعمالها نمط التعليم عن بعد في فترة جائحة كورونا، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التّحليلي.

يقتضي الحديث عن التعليم عن بعد، أن نتطرّق إلى ماهية العملية التعلميّة، مفهوم التعليم عن بعد وعناصره الأساسيّة، دواعي تجسيده على أرض الواقع، فضلا عن مزاياه التي تنعكس بالفائدة على عناصر العملية التعلّمية.

2.ماهيّة العمليّة التّعلّميّة:

يشير هذا المطلب إلى العلاقة التي تربط المعلّم والمتعلّم داخل العملية التعلّمية، تكون الوسائط التكنولوجية المحور والوسيلة الأساس لإنشاء جسور التواصل والتفاعل بينهما.

وعليه يُقصد بالعمليّة التعلّميّة مجموعة التفاعلات التي تحدث بين أطراف معيّنة. وهذا التفاعل هو نتيجة التأثّر والتأثير المتبادل في مواقف تواصليّة معيّنة، ممّا يقتضي وجود من يُرسل ومن يَستقبل، ورسالة تنتقل بينهما عبر قناة معيّنة. وإذا تعلّق الأمر بالتّعلّم والتّعليم فإنّ ما يمثّل هذه العناصر التواصليّة هو كلّ من المعلّم والمتعلّم والمادّة المعرفيّة، وبما أنّنا نقصد التوّاصل عن بعد فتكون قناة التّعلّم هي وسائط التكنولوجيا الحديثة.

إذن فالعملية التعلمية هي عملية تواصلية محضة بالدرجة الأولى، غير أنّها ليست ببساطة التّواصل الذي يجري بين المرسل والمستقبِل في التّواصل اليومي، وإنّما هي تواصل مقصود ومقنّن يسلك منهجيّة صارمة لتحقيق غاية من غايات التّعلّم المختلفة؛ تتمثّل في تعديل سلوك المتعلّم وإكسابه المهارات والكفايات اللازمة لمواجهة تحديّات الحياة المختلفة (صالح، 1993، صفحة 189) إذن فحقيقة التّواصل في العمليّة التعلّميّة يقوم على نظام من الأنشطة المُخطّط لها سَلفا، تستهدفُ تفكير

المتعلّم وسلوكه وقواه الكامنة بالدّرجة الأولى وفق منهج معيّن (الحيلة، 2007، صفحة 23). من هنا تتجلّى قيمة الأنشطة المعتمدة وفاعليتها في استثارة قدرات المتعلم وتوجيه دافعيّته نحو تعلّم المعارف واكتساب المهارات المختلفة.

3.مفهوم التعليم عن بعد:

يتناول هذا العنصر مختلف التعريفات التي تبين حقيقة التعليم عن بعد، والتي أشارت في مجملها إلى أنّ التعليم عن بعد:

أوّلا: هو نقل المعرفة إلى المتعلّم في موقع إقامته أو عمله بدلا من انتقال المتعلّم إلى المؤسّسةّ التعليميّة.

ثانيا: هو تفاعل حاصل بين طريفين ضمن إجراءات تعليمية تعلّميّة وخطوات منهجيّة تكون التكنولوجيا وسيطا وشريكا فاعلا بينهما

تتعدّد المصطلحات التي تشير إلى هذا النوع من التعليم، على الرغم من اشتراكها في الإشارة إلى مسمّى واحد أو متقارب، نورد منها على سبيل الذّكر لا الحصر: التعليم الالكتروني، التعليم عبر الانترنيت، التعليم الافتراضي...وقد آثرنا استخدام مصطلح التعليم عن بعد لاتّصافه بالشّموليّة لمختلف أنماط التعلّم الأخرى فالتعليم الالكتروني مثلا يدخل في دائرة الوسائط التعلّميّة التي تسهم في نجاح التعليم عن بعد، حيث يعرّف هذا الأخير بأنّه: "نقل المعرفة إلى المتعلّم في موقع إقامته أو عمله بدلا من انتقال المتعلّم إلى المؤسّسةّ التعليميّة، وهو مبني على أساس إيصال المعرفة والمهارات والمواد التعليمية إلى المتعلّم عبر وسائط وأساليب تقنية مختلفة، حيث يكون المتعلّم بعيدا أو منفصلا عن المعلّم القائم على العمليّة التعليمية، وتُستخدم التكنولوجيا من أجل ملء الفجوة بين كلّ من الطّرفين بما يحاكي الاتّصال الذي يحدث وجها لوجه" (سلمان، 2020، صفحة 14).

ويعرّف أيضا بأنّه: "نظام يشير إلى الحالات التي يكون فيها التعليم طبقا لأسلوب التعليم عن بعد، والذي بموجبه يكون الأستاذ والطالب في منطقتين جغرافيتين ومن ثمّ

يتم التركيز على الوسائل الإلكترونية وعلى المواد المطبوعة التي يتمّ إعدادها لتسليمها إلى الدارسين" (الرشيد، 1987، صفحة 252).إذن فالتعليم عن بعد هو تفاعل حاصل بين طريفين ضمن إجراءات تعليمية تعلّميّة وخطوات منهجيّة تكون التكنولوجيا وسيطا وشريكا فاعلا بينهما كلّا من موقعه الذي يتواجد به وزمانه الذي يستقر فيه.

والتعليم عن بعد بهذا المعنى هو طريقة حديثة في التعلّم تقوم على وجود المعلّم في مكان يبعد عن مصدر التعليم، قد يقول قائل أين وجه الحداثة فيه إذ عُرف من قبل هذا النّوع من التعليم تحت مسمّى التعليم بالمراسلة؛ قلنا إنّ التعليم عن بعد يتميّز بما تمدّه التكنولوجيا الحديثة في كلّ عصر من تقنيات ووسائل جدّ متطوّرة تجعل منه تعليما يقترب إلى حدّ ما من التعليم الحضوري بالرّغم من بُعد المسافات واختلاف الأماكن والأزمنة بين الطّرفين، عكس التعليم بالمراسلة الذي كانت وسائله شبه بدائية تعتمد على إرسال المواد التعليمية والمحتوى المعرفي عبر البريد الذي كان يستهلك من الطّرفين جهدا ووقتا كبيرين، فضلا عن غياب التّفاعل المستمر بينهما وانعدام التّغذية الرّاجعة فيُكتفى فيه بإجراء التقويم التحصيلي والإشهادي بطريقة تعيد الاعتبار إلى التّعليم الحضوري (عن التعليم في الجزائر نتحدّث).

4.عناصر التّعليم عن بعد:

تتكفل التعليميّة بالإجابة عن الأسئلة الآتية :

ماذا نُعلّم؟ من نُعلّم؟ لماذا؟ كيف نُعلّم؟ وانطلاقا من هذه التّساؤلات تُحدِّدُ التّعليميّة أقطاب العمليّة التّعليميّة، من متعلّم، ومعلّم، ومعرفة، وطريقة التّعلّم، حيث يمثّل المتعلّم فيها المحور الأساس للعمليّة التعلّمية، والإجابة عن السّؤال الأخير (كيف نعلّم؟) هو جزء من الإشكال الذي تحاول ورقتنا الإجابة عنه.

1.4.المتعلّم:

لا بد أن يُراعى في المتعلّم قابليته نحو التّعلّم ومدى استعداده لتعلّم المهارات والكفايات المختلفة. والتّعرّف على جملة الخصائص الذّهنية والفسيولوجيّة والنّفسيّة

والاجتماعيّة التي تميّزه عن غيره في مرحلة من مراحل عمره، حتّى يتسنّى للمعلّم فهمه وتفسير سلوكياته وسدّ حاجياته ومتطلّباته واختيار الوسائط التكنولوجية المناسبة.

وعلى المتعلّم أن يكون مستعدّا لممارسة التعلم عن بعد، بحيث يؤمن أنّ هذه الممارسة من شأنها أن تنمّي مهاراته، وتصلح كبدائل تعلّميّة في حالة ممارسة التعلّيم الحضوري أو عدمه.

2.4.المعرفة:

تتباين قدرات المتعلّمين في فهم المادة المعرفيّة واستيعابها، لهذا يجدر بالمعلّم أن يُكيّفها حتى تتوافق مع قدراتهم العقليّة والنفسية وانتماءاتهم العقائديّة، وأن يجعلها قابلة للتعلّم والتّطبيق والممارسة عبر هذه الوسائط التكنولوجيّة.

3.4.المعلّم:

يُشترط في المعلّم أن يكون مؤهلا لممارسة التعليم، فعلاوة على تأهيله الأكاديمي والبيداغوجي وتكوينه الذّاتي، تعدّ رغبته في ممارسة هذه المهنة عاملا مهمّا في إنجاع العمليّة التعلّميّة، وهو ما يجعله متحمسا، صبورا، مبدعا، فنانا.. فضلا عن تحكّمه في التقنيّة. كما يشترط فيه أن يتمتّع بروح المسؤوليّة، فهو الوحيد الذي يخوّل إليه تحديد المواعيد اللازمة، ويجهّز المضامين الرقمية والدروس المصوّرة ويصنع الفيديوهات المساعدة، ويتابع أنشطة المتعلّمين ويتواصل معهم ويتلقى واجباتهم ويقيّمها.

4.4.الوسائط التكنولوجيّة:

مصطلح الوسائط التكنولوجية هو مصطلح عامّ يشير إلى الوسائل والأجهزة التي توصّل إليها العقل المبتكر طيلة سنوات من البحث في مجال التّقنيّة الحديثة، لها إمكانيّة أن تُستثمر في تسهيل العمليّة التعلّميّة ومن شأنها أن ترقى بجودة التّعليم، نذكر منها: الحاسوب، الهاتف المحمول، الأنترنيت، جهاز العرض،...

5.دواعي التّجسيد على أرض الواقع:

يمكن القول إنّ تطبيق التعليم عن بعد في شقّه الإلكتروني فرضته ظروف جدّ ملحّة وقاسية نوعا ما، جاء هذا المطلب ليعرضها ويناقش بعضها.

أوّلا: توقّف التعليم ومكوث النّاس في بيوتهم نتيجة الحجر الصحّي المفروض بسبب جائحة كوفيد19.

ثانيا: لم يترك للوزارة الوصية بالجزائر خيارا سوى الانتقال إلى تجنيد كلّ الوسائل الالكترونيّة من أجل ضمان التّكوين واستمرارية التّعلّم.

والصّراحة إنّ هذا الاستنجاد بالتّكنولوجيا والسّير إلى نظام التّعليم عن بعد في تلك الظّروف لم يكن بالفاعليّة المتوقّعة كونه حلاّ ترقيعيّا افتقر إلى التّخطيط والاستعدادية المسبقة والتّنظيم الممنهج، ممّا يتطلّب "بناء فَرضيّاتٍ حول وضعيّة مُعيّنة، باستخدام التفكير الدقيق؛ وذلك بهدف اتّخاذ القرار المُناسب حول تطبيق سلوكٍ ما في المستقبل" (المطوع، 2018، صفحة 02). ويتوقف هذا على قدرة المعلم في صياغة إجراءات دقيقة واستخدامها بأسلوب صحيح يتماشى مع طريقة التدريس. فالتّخطيط "نَشاطٌ يُطبّقه معظم الأفراد في أغلب شؤونهم العامة، انطلاقا من إعداد خُطّةٍ تكون ذهنيّة عادة قبل تحويلها إلى خُطة فعليّة ميدانيّة؛ أي الحِرص على التّفكير قبل المُباشرة بالعمل" (مبروك، دت، صفحة 02).

6.المزايا التي يوفّرها التعليم عن بعد:

يعرض المطلب مزايا التعليم عن بعد، نوردها في النّقاط الآتية:

أوّلا: لو لم يكن للتعليم عن بعد من المزايا إلا إتاحة فرص التعليم لكلّ المتعلّمين لكفته، خاصّة في ظلّ المقاعد المحدودة والمنعدمة أحيانا والتي يعجز التعليم الحضوري عن توفيرها.

ثانيا: يتيح فرصة التعلّم بحسب حاجة المتعلّمين التي تتوافق مع ظروف الحياة وتحدّياتها من ضيق الوقت وكثرة الواجبات فيضمن الاستمراريّة والمرونة في التعلّم عكس ما كان سائدا في التعليم الحضوري أين يجد المتعلّم نفسه يتأخّر عن فصول الدّروس الحضوريّة بسبب مشاغل الحياة التي لا تنقطع.

لهذا تلتزم غالبية الدّول بتوفير التّعليم عن بعد لمواجهة النّقص في فرص التّعليم بأسلوب يتماشى والتطوّرات العصر، فهناك فئة من المجتمع خاصة تلك التي تتراوح أعمارها بين العشرين والأربعين سنة، لا تستطيع الالتحاق بالجامعة كونها فئة منتجة لها التزاماتها في الحياة، ونظرا لتنامي عدد المقبلين على التعليم الجامعي، تظهر الجامعة العجز في استقبال هذا الكم الهائل من الأفراد، فكان لابد من التّوسع في عدد المقبولين عن طريق اللّجوء إلى التعليم عن بعد (مرسي، 1998، صفحة 128).

ثالثا: كونه تعليما جماهيريّا متاحا لجميع فئات المجتمع إذ لا يقتصر على مستوى معيّن أو نوع من التعليم، ولا حتّى المواجهة بين المعلّم والمتعلّم بل يقوم على نقل المعرفة إلى المتعلّم بوسائل تعليميّة متعدّدة مكتوبة أو مسموعة أو مرئيّة تغني عن حضوره داخل الفصل الدّراسي (أحمد، 2005، صفحة 185). فهو يتلاءم في سدّ الفجوات والنّقائص النّاجمة عن الأزمات التي قد تصادف الإنسان فتحدّ من استمراريّة التّعلّم وتواصله.

وتقاس فاعليّة طريقة ما أو تقنيّة أو برنامج تعليمي بمدى قدرتها على منح المتعلّمين دافعيّة أكثر، واستثارة اهتماماتهم، وممّا لا يخفى على النّاظرين اليوم أنّ وسائل التّكنولوجيا الحديثة كالهاتف والحاسوب والأنترنيت أسْرت لبّ الكبير قبل الصّغير، واحتلّت مساحة واسعة من حياة النّاس فانشغلوا بها وبتقنياتها وتطبيقاتها المختلفة، ومادام الحال كذلك، حري بالعقلاء أن يكيّفوا هذه التّقنية لتخدم المجال التّعليمي وهو ما قد يمنح العلم مرونة بوسائل تستجيب لمتطلّبات هذا الجيل الجديد من المتعلّمين.

رابعا: يقدّم المحتوى التعليمي في كلّ مرّة بطرائق تفاعليّة تتسم بالابتكار والتجديد وتبتعد عن الروتين والجمود الذي عهده المتعلّم داخل الصّف الدراسي الباعث

للملل والركود. كما يجعل المتعلّم يشعر باستقلاليته في بناء التّعلّمات بعيدا عن ضغط المكان أو الزّمان.

7.ملخص تجربة تنفيذ التعليم عن بعد في مؤسّسة التّربية والتّعليم الخاصّة –أحسن الأجيال، الجزائر العاصمة–.

يتطرّق هذا العنصر إلى حيثيّات الدّراسة الميدانية في ظلّ ممارسة التعليم عن بعد على أرض الواقع، والتي نحصرها في الخطوات الآتية:

1.7.الدراسة الاستطلاعية:

تعدّ الدراسة الاستطلاعية مجموعة الخطوات السّابقة لمرحلة تنفيذ الإجراءات الفعلية للدراسة الميدانيّة، فهي لمحة مختصرة يُشكّلها الباحث عن طبيعة الظّروف والأحوال والملابسات التي تتعلّق بشكل مباشر بالسير الميداني لدراسته؛ فهي بمثابة التّجريب الذي يساعد على التّحقق من صلاحيّة وإمكانيّة تنفيذ الدّراسة في ظلّ ظروف معيّنة (خليفة، 1984، صفحة 73).

ولا شكّ أنّ أوّل ما كان يجب علينا الاستطلاع عنه في بداية هذه المرحلة هو تحديد مكان تواجد مجتمع الدّراسة، والتّأكّد من إمكانيّة انتقاء مجموعة من الحالات يُجرى عليها البحث (العيّنة). "فإنّ بناء توقّعات حول ما قد يصادف الباحث من مشكلات تعيق السير المثالي للدراسة يعدّ من أساسيّات الدراسة الاستطلاعيّة" (محمود، 2006، صفحة 92).

ولهذا زرنا مجموعة من المدارس الخاصّة المتواجدة بدرارية–الجزائر العاصمة بتوجيه من بعض الزملاء، وقد وقع اختيارنا على مدرسة أحسن الأجيال على اعتبار أنّها من أقدم المدارس الخاصّة بالمنطقة، كما أنّها عُرفت بجدّيّتها وصرامة القائمين على تسيرها، إضافة إلى تحقيقها لأفضل النتائج الدراسية في شهادات التعليم الابتدائي والمتوسط والبكالوريا بنسبة نجاح تقدّر بـ 99% في أغلب السّنوات الماضيّة.

ومنه فقد كان استطلاعا موجّها واستعلاما دقيقا جعلت أقدامنا تطأ مدرسة عريقة مرشّحة لأن تكون رائدة في الميدان التعليمي لما تحتويه من إمكانات ماديّة وتطلّعات استشرافيّة تخوّلها تبنّي سياسة التعليم الهجين بين الحضوري والإلكتروني.

2.7.التعريف بالمؤسّسة:

مدرسة أحسن الأجيال مؤسّسة تعليمية خاصّة معتمدة من طرف وزارة التربية والتعليم الوطنية، تأسّست في سبتمبر 2010م، تضمّ 540 تلميذا موزّعين في مختلف الأطوار التعليميّة، ولها ثلاثة فروع: الفرع الأوّل: مخصص لتلاميذ التحضيري(ما قبل المدرسة)، والفرع الثاني: خاصّ بتلاميذ السنة أولى وثانية ابتدائي؛ أمّا الفرع الثّالث وهو أكبر الفروع إذ يضمّ التعليم الابتدائي (السنوات الثالثة والرابعة والخامسة)، ويضمّ التعليم المتوسّط بأطواره الثلاث، والتعليم الثّانوي (السنوات الثالثة والرابعة والخامسة).

3.7.الإطار المكاني والزماني:

وقع اختيارنا على المدرسة التعليميّة الخاصّة –أحسن الأجيال– لأسباب تمّ ذكرها آنفا، وقد تمّ إجراء الدراسة في الفترة الممتدة بين بداية شهر فيفري إلى بداية شهر أفريل2022.

4.7.المنهج:

تختلف مناهج البحث باختلاف الموضوع الذي تتناوله الدراسة، كما نجد أنّ أهداف الدراسة وإشكاليتها تتحكّم في اختيار نوع المنهج. وبما أنّ موضوع بحثنا يهدف إلى تقييم التجربة الميدانية أثناء ممارسة التعليم عن بعد، والوقوف على التحدّيات والعراقيل التي تجعل من هذا النوع من التعليم غير ممكن أو صعبا في بعض الأحيان.

وعليه فإنّ اختيار المنهج الوصفي التّحليلي لتحقيق مثل هذه الأهداف يعدّ المنهج الأنسب في ذلك، فهو (أسلوب من أساليب البحث التي تدرس الظاهرة دراسة كيفيّة توضّح خصائصها، ودراسة كمّية توضح حجمها، وتغيراتها ودرجات ارتباطها مع الظّواهر الأخرى) (عطوي، 2007، صفحة 183).

وإنّ ما جعل المنهج الوصفي التّحليلي هو المنهج الأنسب للدراسة من جهة أخرى هو اعتماده على خطوات تخدم أهداف الدراسة الحالية، وهي ثلاث خطوات، تمثّل الخطوة الأولى عمليّة جمع البيانات بواسطة مختلف طرق جمع البيانات، وتتمثّل الخطوة الثانية في التحليل الموضوعي لهذه البيانات، أمّا الخطوة الأخيرة فتقوم على معرفة طبيعة العلاقات التي تجمع العوامل المؤثّرة في الظّاهرة المدروسة (عبيدات، 1999، صفحة 46).

5.7.أدوات جمع البيانات:

1.5.7.المقابلة:

تعدّ المقابلة أسلوبا من الأساليب التي يلجأ إليها الباحث من أجل جمع عدد معيّن من المعلومات والبيانات التي يحتاج إلى استثمارها في حدود البحث، فهي مناقشة يُجريها الباحث مع الأطراف المساعدة أو مع الذين تربطهم صلة بجزئيّات الدّراسة بغرض تحقيق أهداف الدّراسة بصفة عامّة سواء كانت هذه الصّلة مباشرة أو غير مباشرة (عبيدات، 1999، صفحة 55).

وعليه يجدر التّذكير إلى أنّه تمّ اللّجوء في الدّراسة الحاليّة إلى نوعين من المقابلات تمثلت الأولى في مقابلة جماعيّة مع الأفراد المؤطّرين بالمدرسة وذلك من خلال مختلف الاجتماعات التنظيميّة؛ أمّا المقابلة الثّانيّة تمثّلت في مقابلة فرديّة مع المعلّمين والمختصين بالإعلام الآلي وأولياء التلاميذ والتلاميذ أنفسهم.

6.7.مراحل تنفيذ التعليم عن بعد بالمدرسة:

يؤرّخ لفكرة تنفيذ التعليم عن بعد بمؤسّسة أحسن الأجيال منذ ثلاثة سنوات تقريبا(2019) عبر إجراءات استعداديّة هدفها إدراج هذا النّمط من التعليم ضمن سياسة المؤسّسة التعليمية، حيث كان المقصد من ذلك هو التوجه نحو تطوير آليات التعليم بالمدرسة من خلال إدراج التعليم الالكتروني بالتوازي مع التعليم الحضوري، (التعليم الهجين أو المختلط).

ومع تزايد حالات الإصابة بفيروس (كوفيد 19) قرّرت الوصايا غلق المدارس التعليمية وتعليق الدراسة تفاديا لارتفاع عدد حالات الإصابة بالفيروس ومن أجل إنقاذ السنة الدراسية وعدم الدخول في فراغ قرّر مسؤول المدرسة أن يتابع التلاميذ الدراسة في فترة الحجر الصحي عن طريق آليات التعليم عن بعد ومن وسائله التي اعتمدت هو التعلم الالكتروني. كانت الفئة المستهدفة في بادئ الأمر الأقسام النهائية(شهادة التعليم الابتدائي+ المتوسط+ البكالوريا).

اقتصرت الخطوة الأولى على استدعاء التقنيين المسؤولين على إدارة العمليات الالكترونية (الإعلام الآلي) داخل المدرسة من خلال اجتماع تنسيقي تمّ الاتفاق على اختيار تقنيتي googleclassroom + googlemeet نظرا لسهولة استعمالهما، ثم فتح أقسام افتراضية في تطبيق googleclassroom لكلّ مستوى من الابتدائي إلى الثانوي عن طريق استيراد إيميل كل تلميذ من قاعدة بيانات الخاصة بالمدرسة. وإرسال رسالة توجيهية إلى أولياء التلاميذ تحتوي روابط الأقسام الافتراضية الخاصة بكل تلميذ.

وتمثّلت الخطوة الموالية في عقد اجتماعات تنسيقيّة مع الأساتذة، أين تمّ تدريبهم على كيفية استخدام googleclassroom و googlemeet وقد مسّ الجوانب الآتية:

1- طريقة ترك تعليق لكل قسم.

2- طريقة التواصل مع التلاميذ عبر الأقسام الافتراضية.

3- كيفية إرسال ملفات بصيغ مختلفة (PDF، Word).

4- وضع الواجبات وطريقة تقييمها وتقويمها.

5- متابعة حضور التلاميذ وتسجيل الغيابات.

وتجدر الإشارة إلى أن استعمال googleclassroom كان من طرف الأساتذة (الشباب) الذين استطاعوا أن يدركوا تفاصيل هذا التطبيق وبالتالي أحسنوا توظيفه بشكل جيّد بين إرسال ملفات PDF و Word وأحيانا روابط إلكترونيّة.

أمّا الأساتذة الذين لم يواكبوا طريقة استعمال googleclassroom، تم سدّ هذا العجز عن طريق تقنية googlemeet (التحاضر عن بعد).

بعد انقضاء فترة الحجر الصحي توقّف بعض الأساتذة عن استعمال التعليم الالكتروني بحجة انتهاء الدافع إلى استثمارها والعودة إلى التعليم الحضوري فقط، وهذا في الحقيقة تعارض مع السّياسة التي ينتهجها مسؤول المدرسة، والذي أوضح صراحة موقفه تجاه التعليم عن بعد بضرورة وإلزامية الاستمرار في توظيف الوسائط التكنولوجية بالتّوازي مع التعليم الحضوري، حيث سيقتصر استعمالها في:

1- وضع الواجبات المنزليّة، والتّذكير بآجال تسليمها.

2- استدراك النّقائص المسجّلة في التعليم الحضوري.

3- إرفاق الدرس بملخصات ووثائق شارحة.

4- التّواصل مع أولياء التّلاميذ.

5- التّواصل المباشر للأستاذ مع التّلاميذ بعد انقضاء فترة الدّوام وفي العطل وخاصّة عطل نهاية الأسبوع.

7.7.تقييم التّجربة الميدانيّة :

سوف نورد أهم الملاحظات التي تمّ تدوينها من خلال المقابلات المختلفة التي أجريناها مع القائمين، وسنعرض تقييما لهذه التّجربة بنقائصها وإيجابيّاتها.

أمكن التّعليم عن بعد الذي تمّ تطبيقه في المدرسة أثناء فترة الحجر الصّحي من:

1- تدارك جزء كبير من الدّروس التي تأخّر الأساتذة من تقديمها بسبب الانقطاع الدراسي.

2- تسهيل التّواصل وتقليل الجهد عن طريق الاستغناء عن دفاتر المراسلة، ودفاتر التّبليغ والإعلانات الحائطيّة المشوّهة للمنظر العام وكثرة الأوراق وغيرها.

3- أصبح googlemeet وclassroom أرضيّة يغتنمها الأساتذة لبرمجة دروس تعويضّية أو استدراكيّة لبعض التّلاميذ الذين قد يعانون من بعض الصّعوبات التعلّميّة.

4- نسبة التّجاوب والالتزام بالتّعليمات مع هذا النمط من التعليم كانت:

المرحلة الابتدائيّة: 90%

المرحلة المتوسّطة:65% إلى 70.%

المرحلة الثّانويّة: 100 .%

5- قدّرت نسبة انجاز الواجبات عبر room بـ 60.%

6- قدّرت نسبة إنجاز الدّروس بـ 45%من العدد الإجمالي للدّروس التي كان من المفترض انجازها في التّعليم الحضوري لولا انقطاع الدّراسة.

7- كانت نسبة التّجاوب عبر تقنيةmeet، أفضل منroom ، نظرا لسهولة استخدام الأوّل من جهة، فهو يشبه التعليم الحضوري نوعا ما من خلال إمكانيّة الظهور المباشر لأطراف العملية التعليميّة .f2f

8- أحبّ أولياء التّلاميذ المبادرة الجديدة، وكانت انطباعاتهم مرضية ومشجّعة، وقد تجسّد ذلك في تحلّيهم بروح المسؤولية في متابعة أبنائهم داخل البيت وتوفير الوسائل التقنية

9- لا ننكر أنّ تسيير مثل هذه العمليّات عن بعد ليس بالأمر الهيّن، قد تطلّب جهدا وسهرا كبيرين، سواء من طرف الأساتذة أو الأولياء أو الإدارة.

8.الخاتمة:

في نهاية إعداد هذا البحث، لابد أن نبيّن أهم ما توصّلنا إليه من نتائج ومقترحات على النّحو الآتي:

1.8. النتائج:

حاولنا من خلال هذه الورقة العلمية أن نشارك القارئ تجربة ميدانيّة حقيقيّة لكيفيّة ممارسة التّعليم عن بعد من طرف المدرسة التعليميّة الخاصّة –أحسن الأجيال–، حيث تطرّقنا إلى أهم الأحداث والملابسات التي ساعدت على تطبيق هذا النمط من التعليم مع تقييم هذه التجربة في ظلّ التّحديات والعراقيل المسجّلة.

1– إنّ إدماج التكنولوجيا في العملية التعلّمية والاستفادة منها يجعل الاستغناء عنها أمرا مستحيلا، نظرا لما قدّمته من تسهيلات ومن اقتصاد في الجهد والوقت، فتقنية googlemeet و googleclassroom أصبحت جزءا لا يتجزّأ من مدرسة أحسن الأجيال الخاصّة، والتي قضت شوطا كبيرا من التّنظيم والتّحسيس بغرض إرساء قواعد متينة وضعت نمط التعليم عن بعد قيد الانجاز والتّطبيق بالرّغم من التّحديّات والعوائق التي تواجه هذا النّمط من التعليم في الجزائر سواء على مستوى العنصر البشري(الأساتذة، الإداريّن الأولياء، التلاميذ)، أو على مستوى توفير الإمكانات الماديّة من وسائط تكنولوجيّة متنوّعة.

2– هذا النّمط من التّعليم عن بعد باستعمالاته الالكترونيّة ووسائطه قد حمل لواءه جملة من الأساتذة الشّباب الذين استطاعوا أن يواكبوا الحركة التكنولوجية والوسائل العصريّة.

3– صعوبة التّحكّم بالتّلاميذ عن بعد، والمقصود به المشاركات العشوائيّة التي تصدر من التّلاميذ أثناء الدّرس (تقنية التحاضر عن بعد) دون أخذ إذن من الأستاذ.

4– الربط بين شركاء العمليّة التعلّميّة في مرحلة عرفت بفترة التّشتت والتّفلّت عن طريق خلق تواصل عن بعد واستمراريّته أفضت إلى متابعة التّلاميذ وتقييم وتقويم أدائهم في التّحصيل الدّراسي.

2.8.المقترحات:

1- فتح مراكز حكوميّة أو خاصّة تُعنى بتطوير كفاءة الأساتذة في مجال الإعلام الآلي المتخصّص والموجّه للتّعليم.

2- دمج التلاميذ مع هذه الوسائط بدءا بالهاتف المحمول الذي يضطهده الكثير من الأساتذة فيعاقبون التّلاميذ إذا وجدوه بحوزتهم داخل القسم بدلا من استثماره وتحويله إلى أداة بيداغوجيّة ووسيلة تعليميّة.

3- فرض إجباريّة التعليم عن بعد والتّعليم الالكتروني عن طريق سنّ التّشريعات التي تؤكّد دور التّعليم عن بعد في الرّقي بالتّعليم وتسهيل الحياة العلميّة، إضافة إلى القوانين التي تسيّره وتنظّمه داخل المؤسّسات التّربويّة، مع توفير الوسائل والإمكانات اللازمة.

9.قائمة المصادر والمراجع:

أحمد ,عبد الحي رمزي .(2005) .*التعليم العالي الالكتروني محدداته ومبرراته ووسائطه* .(éd.)ط .(1الاسكندرية :دار الوفاء.

الحيلة ,محمد .(2007) .*طرائق التدريس العامة* .(éd.)ط .(3الأردن :دار المسيرة.

الرشيد ,محمد الأحمد ا(1987) .*ملف التعليم المفتوح أو التعليم عن بعد* .الرياض :رسالة الخليج العربي.

المطوع ,إبراهيم .(2018) .*التخطيط والتخطيط التربوي وأنواعه* .السعودية :جامعة الملك سعود.

حساني 2014) . ,*دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليميّة اللغات* .(éd.)ط .(2بن عكنون-الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعيّة.

خليفة ,محمد بركات .(1984) .*مناهج البحث العلمي في التربية وعلم النفس* .(éd.)دط .(الكويت :دار العلم.

سلمان ,مركز الملك ا(2020) .التعليم عن بعد مفهومه ادواته استراتيجياته .السعودية :منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم.

شاهين ,توفيق.محمد م1985) . م .(*علم اللّغة العام* .(éd.)ط .(2بيروت :مؤسسّة الرسالة.

صالح ,عبد العزيز .(1993) .*التربية وطرق التدريس الحديثة* .القاهرة :دار المعارف.

عبيدات ,محمد .(1999) .*منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات* .(éd.)دط .(الأردن :دار وائل.

عطوي ,جودت ع (2007) . *أساليب البحث العلمي* .(éd.)ط .(2الأردن :دار الثقافة.

مبروك ,ساحلي) .دت .(*مناهج وتقنيات الدراسات المستقبلي و وتطبيقاتها في التخطيط* .الجزائر.

محمود ,رجاء (2006) .*مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية* .(éd.)ط .(1الأردن :دار المسيرة.

مرسي ,منير محمد .(1998) .*أصول التربية* .(éd.)ط .(2القاهرة :عالم الكتب.